

## الحضارات القديمة

### في القرآن الكريم

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

(تمتة)

#### الحضارة اليونانية

اليونان من الجنس الآري الذي ينتسب إلى يافت بن نوح عليه السلام ، وهم أول من حل لواء الحضارة من ذلك الجنس ، وتمتاز حضاراتهم على غيرها من الحضارات بالنهضة العلمية التي قامت على أسسها ، وما زالت ترعاها وتمتهد بها حتى ترعرعت وازدهرت ، وظهر فيها من أعلام الفكر أولئك الفلاسفة الذين رفَعوا منار العلم ، ووصلوا فيه إلى ما لم يصل إليه أحد قبلهم ، فأقاموه على أسس ثابتة ، وجعلوا له حدوداً ومعاملاً ظاهرة ، وقد بلغ من قوة تلك الأسس وظهور تلك المعالم أنها لا تزال ثابتة إلى عصرنا ، وأن كل نهضة علمية حدثت بعدها تحذو حذوها ، وتجري على منوالها ، فتبنى على تلك الأسس ، ولا تتخطى تلك الحدود والعالم ، ويكون كل منهما أن تصلح فيها خطأ أو تزيد على آثارها آثاراً جديدة

جرّحوا الجامعة ، جرّحوها بعنف ، لتستيقظ فتثور على الغفلة والجهل ...

قولوا وأظنّبوا ، فإن لم تفعلوا - وستفعلون - فسأخذ الكلمة من أفواهكم لأسمع الجامعة ما تحب أن تسمع ، فرضاها عن هذه الحال رضا اليأس ، لا فرح التحليق في أعلى الجواء .  
جولوا ووصلوا ، يا بني الأم الروحية ، وقاتلوا وقاتلوني ، لأرى أنكم وهبتم العزائم القوانك ، والأرواح الصحاخ  
أنا أثبتت على الجامعة بالحق ، فجرّحوها بالحق ، لتأمنوا سيالاً في ردكم إلى شرعة العدل والإنصاف

وإلى اللقاء بعد أن أسمع ما عندكم من حجج وبراهين ، فلن نضام الجامعة وفي الوجود رجل هو أصدق أبنائها الأوفياء

زكي مبارك

وكما تمتاز الحضارة اليونانية بهذا تمتاز بأمر آخر له خطره ، وهو محاولتها جمع العالم على حضارة واحدة ، وإخضاع الشعوب البشرية لسلطان واحد ، حتى يتمكنها أن تقارب وتتفاهم ، وأن تتعاون في كل عمل يرفع شأن البشر ، ويعود عليه بالخير والفاهية ، والحضارة اليونانية في تلك المحاولة على عكس الحضارة اليهودية ، لأن اليهود كانوا يمتقدون أن حضارتهم حياء من الله لهم ، وأنهم أوثروا بها إيثاراً على غيرهم من الشعوب ، فلا يصح لهم أن يشركوا فيها غيرهم ، ولهذا عاشوا بمنزلة عن غيرهم من الشعوب ، ولم يجارولوا أن يضفوا شعباً منها إلى حظيرتهم

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذين الفرضين الحميدين في الحضارة اليونانية ، وفصلهما أحسن تفصيل في سورة الكهف من الآية - ٨٣ - إلى الآية - ٩٨ - ( ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً ، إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سبباً ، فأتبع سبباً ، حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حثّة ووجد عندها قوماً ، قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً ، قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً ، وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا ثم اتبع سبباً ، حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً ، كذلك وقد أخطأنا بما لديه خيراً ، ثم اتبع سبباً ، حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولاً ، قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض ، فهل نجعل لك خرجاً على أن تحمل بيننا وبينهم سداً ، قال ما مكنتي فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً ، آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطراً ، فما اسطاعوا أن يظهره وما استطاعوا له تقباً ، قال هذا رحمة من ربي ، فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقاً )  
فهذه الآيات تفيد أن ذا القرنين كان يرمي إلى أمرين عظيمين ، أولهما جمع الشعوب في شرق الأرض وغربها تحت حكمه ، ليكون لهم جيمماً سلطاناً واحداً يجمع كلمتهم ، ويقرب مسافات الخلف بينهم . وثانيهما نشر العلم والحضارة بين تلك الشعوب ، فمن آمن وأذعن لذلك جزاء أحسن الجزاء ، ومن لم

المقدوني إلا أنه كان على دين فلاسفة اليونان ، ولم يكن رسولاً يدعو إلى الإيمان كما هو ظاهر القرآن في قوله : ( قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب ) ونحوه مما ورد في الآيات السابقة . ولنا في الجواب عن هذا أن نذهب إلى أن الفلاسفة اليونانية لم تكن فلسفة وثنية مادية ، وإنما كانت فلسفة توحيدية روحية ، إذ كان العقل عند الفلاسفة الأقدمين كسقراط وأفلاطون وأرسطو يعد مظهراً للروح ، وأكبر دليل على أن لها وجوداً مستقلاً عن الجسد ، فتنفصل منه بعد الموت ، وتصدد إلى عالم أرفع من هذا العالم ، وهذا هو الإيمان بالتوحيد والبعث الذي دعت إليه الأديان السماوية . وقد كان في أولئك الفلاسفة من ادعى الإلهام والوحي كفيثاغورس وسقراط ، وهي دعوى لا يوجد في الإسلام ما يمنع من قبولها ، لأنه يمتاز على غيره من الأديان بأنه لا يجعل الرسالة السماوية وفقاً على قوم من الأقوام ، وقد قال الله تعالى في الآية ( ٢٤ ) من سورة فاطر : « إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وإن من أمة إلا خلا فيها نذير » وإذا كان في آثار أولئك الفلاسفة ما يخالف الدين ، فإنه يمكن أن يكون من التحريف الذي أصاب الفلاسفة اليونانية ، كما أصاب الأديان السماوية القديمة . على أن كثيراً من أنصار هذه الفلسفة في اليهودية والنصرانية والإسلام لا يرون أنها تخالف هذه الديانات ، وقد استخدموا علومها وآلاتها في نصرته الدين ، حتى صار علم الكلام في هذه الديانات متأثراً إلى حد كبير بهذه الفلسفة ويمكننا أن نذهب في الجواب عن ذلك مذهباً آخر نسلم فيه أنه لم يكن في هذه الفلسفة وأصحابها إلهام ولا وحي ، وأنهم وصلوا إليها بنظر العقل ، فإنه يبقى مع هذا أن أولئك الفلاسفة اجتهدوا بقولهم في الوصول إلى الحقيقة المطلقة ، فوصلوا في ذلك إلى أسمى ما وصلت إليه العقول في العصور القديمة ، وإلى ما استحق التقدير من كل من ظهر بعدهم من الأمم إلى عصرنا الحاضر ، فإذا ذكر القرآن آثار علم من أولئك الأعلام ، فإنه يقدر منها ما يستحق التقدير من كل منصف ، وإذا كان فيها شيء من المؤاخذات فإن الله لا ينظر إليها في هذه الحالة ، كما قال تعالى في الآية ( ١٥ ) من سورة الإسراء : « من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر

يؤمن ويذعن لذلك ناله ما يناله من العذاب ، وقد تم لدى القرنين من ذلك ما أراد ، فجمع أكثر الشعوب المتحضرة تحت حكمه ، ثم عمل على أن يحفظها من الشعوب التوحشة التي كانت تغير عليها ، وتخرب ما تخرب من آثار الحضارة فيها

وذو القرنين الذي تم له كل هذا هو الاسكندر المقدوني اليوناني ، كان أبوه فيليب ملك مقدونيا ، وكان ملكاً عظيماً القدر ، عمل على أن يجمع بين البلاد اليونانية في حلف تتولى مقدونيا زعامته ، ثم يوجه قوة اليونان بعد توحيدها بحر الفتح الخارجي ، ولكنه قتل قبل أن يتم غايته ، فخلفه ابنه الاسكندر علي عرش مقدونيا ، وكانت سنه عند ولايته عشرين سنة ، وقد ورث عن أبيه بعد المهمة وقوة المزم ، وزاد عليه بتريته على يد أرسطو الفيلسوف المعروف ، فنشأ محباً للفلسفة والعلم ، عاملاً على نشرها في أنحاء المعمور . وقد أراد أولاً أن يخضع بلاد اليونان كلها لسلطانه ، فإذا تم له إخضاعها توجه إلى ذلك الفتح الذي يجمع الشعوب تحت رايته ، وكانت دولة الفرس على عهده أكبر دول الأرض ، فعمل على قهرها أولاً ، وعبر مضيق الدردنيل إلى الأناضول ، فانتزعه من أيدي الفرس ، وأوقع ببيوتهم في موقعة إسوس ، ثم أتجه غرباً نحو الشام ومصر فانتزعهما أيضاً من أيدي الفرس ، وما زال يسير غرباً حتى بلغ عين الشمس بواحة سيوة ، وهي العين الحثثة أو الحامية التي ذكر القرآن أنه بلغها في فتوحاتها الغربية ، ثم عاد فأتجه نحو الشرق فاصداً بلاد فارس ، ليقضى على دولة الفرس فيها ، وما زال يسير شرقاً حتى بلغ سهول الهند الشمالية ، ولم يبق أمامه إلا بلاد ياجوج ومأجوج التي ذكر القرآن أنه وصل شرقاً إليها

ولا شك أن هذا الاتفاق بين فتوحات ذي القرنين والاسكندر المقدوني دليل على أنهما شخص واحد ، وقد ثبت مع ذلك أن الاسكندر المقدوني كان يلقب بذو القرنين ، وفي هذا دليل آخر على أنه هو ذو القرنين الوارد في القرآن . وقد ذهب إلى هذا الرأي كثير من المفسرين ، ومن رأى منهم أن ذا القرنين غير الاسكندر المقدوني فقد خبط في بيانه خبط عشواء ، ولم يهتد إلى ملك يثبت التاريخ الصحيح أنه كانت له تلك الفتوحات . ولا يوجد لدى الذين يابون أن يكون ذو القرنين هو الاسكندر